٥ ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

٤ — يقول عامر بن الطفيل العامرى :

« ... وبالحرى إن أدالت الأيام ، وثابت الأحلام ، أن تُحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يُذكر . قال كسرى : وما الأمر الذى يذكر ؟ قال : ما لى علم بأكثر مما خبرنى به مخبر

قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟

قال : لست بكاهن ، ولكنى بالرمح طاعن ... »

فى هذا القول شىء من علم الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، وأقوال علماء ومؤرخين كبار مشهورين من المتقدمين فى الكهانة والمتكهنين إنما هى تخاليط . روى أبو العباس فى (كامله) :

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبّحه ... إلا كواذبَ مما يخبر الفال

والفأل والزجر والكهان كلهم ... مضللون ، ودون الغيب أقفال

وروى صاحب (الكشاف) :

لوى اللهُ علم اللهِ عمن سواهُ ... ويعلم منه ما مضى وتأخرا

وقال شاعر صادق :

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وأخبار مخبرين وأحاديث محدثين عن أناس كانوا يعلمون الغيب من الجاهلية أو من الصحابة والتابعين وغيرهم هى أباطيل وأضاليل « فقل : إنما الغيب لله » . وإذا كان رسول الله سيد هذا الوجود ومعناه ـ وهو رسول الله وهو النبى محمد ـ لا يعلم الغيب فلن يعلم الغيب أحد . وفى المقالة « شق وسطيح » فى الرسالة (٢٤٩ ص ٦٠٥ س ٦) أوضحت الغيب الذى أطلع الله نبيه عليه ، وذكرت آيات من كتاب الله بينات تنادى أن سيد البشر والأنبياء والمرسلين وصفوة النوع الإنسانى لا يعلم غيباً . وذكرت هناك حديث (أم المؤمنين) ـ رضوان الله عليها ـ فى مسند الربيع بن حبيب ، وهو من أقدم كتب الأثر التى وصلت إلينا كما ذكرت قول الإمام علىّ القارى فى الآية الكريمة : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم » قال : « وهذا فى (براءة) ومن أواخر ما نزل من القرآن ، هذا والمنافقون جيرانه فى المدينة »

قلت : ومثل الآية فى (براءة) قوله تعالى فى (الأنفال) يخاطب النبى وأصحابه :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم . وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون »

ذلكم ما فى كتاب الله ولم يزل مسلمون فى كل وقت يصدقون المنجمين والمتكهنين فقد جاء فى (الجامع لأحكام القرآن) ج ٧ ص ٣ :

« قد انقلبت الأحوال فى هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية ، فقد شاع فى رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين ، بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال ، واستخرجوا منهم الأموال ، فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل ، ومن أديانهم على الفساد والضلال ، وكل ذلك من الكبائر لقوله (عليه السلام) : « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[1] فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم ... »

قلت : وفى غير مصر مثل الذى هو فى مصر ، والحال ما حال فى هذا الزمان . ومن جنس الدجاجلة المتكهنين جماعة (التنويم المغناطيسى) الذين يعلمونك ـ كما تقول إعلاناتهم فى الجرائد وإنها لكاذبة وإنهم لكاذبون ـ بماضيك وحاضرك ومستقبلك ...

(م)

(١) فى هذا الكتاب (الجامع لأحكام القرآن) تفسير الإمام القرطبى : « جاء فى صحيح مسلم عن بعض أزواج النبى (ص) قال : (من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) والعراف هو الحازى والمنجم الذى يدعى علم الغيب ، وهى العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها . وقد يشتد بعض أهل هذا الفن فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة فى ذلك . وهذا الفن هو العيافة وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة ، قاله القاضى عياض والكهانة أدعاء علم الغيب ...